اللقاء الخامس

نكتشف فيه أكثر من أي وقت مضى، أن
السياسة تعني البحث عمّا وراء حدود بلدنا

ـ لقد أفضنا بالحديث عن المشاكل الداخلية خلال لقاءاتنا السابقة. ولكن ممارسة السياسة تقودنا بالضرورة إلى الانفتاح نحو الخارج، والتعامل مع الدول الأجنبية، وتنظيم العلاقات معها. وإن هذا الأمر يبدو صحيحاً أكثر من أي وقت مضى، سيما وأن المبادلات والاتصالات بشتى أنواعها، سواء كانت تنقلات جوية أم عبر الانترنت، قد غدت سهلة. ما هو بهذا الصدد، الهدف الأول الذي يطرح نفسه ضمن أولويات العلاقات الخارجية، والذي يفرض نفسه تلقائياً، ومنذ الأزل؟

ـ إنه السلام.

ـ نعم هو ذاك. البحث عن السلام. لأن الدول والأمم ـ على مر العصور، وحتى عهد قريب ـ اعتادت بشكل

يثير الغضب، اختلاق الحروب. وما هو سبب نشوب الحرب؟

ـ طمعاً بالاستيلاء على أراضٍ.

ـ نعم هذا هو السبب الرئيسي، وبالتحديد لوضع اليد على الثروات التي تحتويها تلك الأراضي... علماً أننا رأينا دولاً تتنازع على مناطق خالية من الثروات. لنبحث عن بعض الأمثلة. فقد اندلعت عدة حروب بين فرنسا وألمانيا. كانت هناك حرب في عام 1870، وأخرى خلال الحرب العالمية الأولى بين 1914 ـ 1918، وثالثة في الحرب العالمية الثانية بين 1939 ـ 1945. أتدرون السبب الذي أشعل الفتيل الأول للحرب؟

ـ إنها قطعة أرض.

ـ نعم ولكن أين موقعها؟

ـ إنها مقاطعتي الألزاس واللورين.

ـ نعم إنها مقاطعة الألزاس وجزء من مقاطعة اللورين. ففي عام 1870، استولى الألمان على هاتين المقاطعتين. وفي الأعوام 1914 ـ 1918 عادت هاتان المقاطعتان تحت لواء الفرنسيين. وأثناء الحرب العالمية الثانية كانت تارة بيد الألمان وطوراً بيد الفرنسيين. وما سبب النزاع في

منطقة كوسوفو Kosovo اليوم؟

ـ بحث شعب هذه المقاطعة عن استقلاله.

ـ ويعود سبب التعقيدات في هذه المنطقة لوجود شعبين مختلفين كلياً، يعيشان على أرض واحدة، فهناك فئة من أصل صربي تدين بالديانة الأورثوذوكسية، وأخرى من أصل ألباني، تدين بالديانة الإسلامية. وكلتاهما تعتبر نفسها في وطنها... وترفض هاتان الفئتان التعايش السلمي فيما بينها نتيجة النزاعات التي نشأت. هل تعرفون صراعات أخرى نشبت على أرضٍ واحدة بين أناس مختلفين بالأديان مع تقديمهم لأوهى الحجج؟

ـ في الجزائر.

ـ كلا. ففي الجزائر كانت جميع أطراف النزاع تدين بديانة واحدة. اذهبوا إلى أبعد من ذلك. هل نسيتم منطقة الشرق الأوسط واسرائيل؟ ألا يوجد مشاكل في هذه المنطقة من العالم؟

ـ الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

ـ نعم، والصراع عنيف جداً بسبب أن كلا الفئتين تنتميان إلى أرض واحدة. وهنا صلب المشكلة. ولسوء الطالع، فالأديان السماوية الثلاثة الموحدة «الإسلامية والمسيحية

واليهودية» تعتبر أن القدس هي مدينتها المقدسة. وبالتالي اعتبرت كل فئة من هذه الفئات أنها ورثت الأرض عن أجدادها دون سواها. ولكن النزاع ينحصر اليوم بين المسلمين والإسرائيليين. إذ منذ قيام الحروب الصليبية، لم يعد المسيحيون يطالبون بالأرض. ونتيجة لذلك، نشبت الحروب ومنذ عشرات السنين. واليوم لا نزال نبحث عن توطيد أركان السلام الذي يبدو هشاً. هذه بعض الأمثلة ـ هناك المزيد ـ التي تبرهن لنا أن العالم يعيش مرحلة خطيرة وغير مستقرة. ومنذ ذلك الحين، حاولت الحكومات الوطنية إيجاد منهجٍ يمنع نشوب أي نزاع، أو يتدخل في تسوية النزاع حال نشوبه. وهكذا شهد العالم فجر الحرب العالمية الأولى مولد جمعية الأمم، سرعان ما انتهى أمرها إلى الفشل. وعادت المحاولة ثانية بعد الحرب العالمية الثانية. هل بإمكان أحدكم ذكر اسم هذه المنظمة الجديدة التي تهدف إلى ضمان سيادة السلام في العالم؟

ـ إنها L'O.N.U.

ـ نعم وإلامَ ترمز هذه الحروف؟

ـ إنها منظمة الأمم المتحدة.

ـ كيف تسير الأمور داخل هذه المنظمة؟ على كل هناك من يدّعي أن الأمور ليست على ما يرام داخلها.

ـ لكل دولة ممثلها. ويحاولون مجتمعين تقريب وجهات نظرهم...

ـ كلامك صحيح. يمكننا القول أيضاً أن هذه المنظمة تشمل كل من السلطة التشريعية والتنفيذية. أما التشريعية فهي الجمعية العامة التي تحتضن كافة الدول... كم يبلغ عدد الدول التي تنتمي إلى هذه المنظمة؟ ألتمس لكم العذر إذا عجزتم عن إيجاد الجواب الصحيح، لأنه يتغيّر باستمرار منذ عدة سنوات...

ـ خمسون؟ مئة؟

ـ يبلغ عددهم مائتي دولة. أما السلطة التنفيذية، أي المحكمة التي تناقش الأمور الهامة، فأي اسم نطلق عليها؟

ـ إنه مجلس الأمن.

ـ تماماً. هناك فئتان من الأعضاء ضمن هذا المجلس: دائمو العضوية، كما يشير إلى ذلك اسمهم، وهناك الأعضاء المؤقتون، حيث تترأس كل دولة كرسيها لمدة محدودة. وكم يبلغ عدد الأعضاء الدائمين؟

ـ خمسة.

ـ معلوماتكم شاملة. ومن هم؟

ـ فرنسا ـ الولايات المتحدة الأميركية ـ بريطانيا العظمى ـ روسيا والصين.

ـ ولمَ تمّ اختيار هذه الدول تحديداً؟

ـ لأنها الدول الأقوى والأهم.

ـ وماذا عن اليابان؟ أليست دولة هامة؟

ـ إنها الأكبر مساحة.

ـ وماذا عن مساحة البرازيل؟

ـ فهي إذاً الأكثر غنىً.

ـ ليس هذا أيضاً. فما الذي سيقوله سلطان بروني؟

ـ تلك إذاً التي تفوق باقي الدول بعدد سكانها.

ـ كلا. فعدد سكان الهند يساوي مجموع عدد سكان أربعة دول مجتمعة من الأعضاء الدائمين. إذاً، ما هو الجواب؟ لمَ هذه الدول الخمسة تحديداً؟ ولمَ فرنسا بصورة خاصة؟

ـ لامتلاكهم القنبلة الذرية.

ـ جميعهم يملكها اليوم. علماً أنهم عندما تمّت تسميتهم كأعضاء دائمين في مجلس الأمن، كانت أميركا هي الدولة الوحيدة التي تمتلكها. الجواب بكل بساطة: لأنهم المنتصرون في الحرب العالمية الثانية. وهم وراء تأسيس المنظمة. فكل عضو من هذه الأعضاء يتمتع بسلطة على جانب من الأهمية يوضّح مشاكل كثيرة اليوم: إنه حق الفيتو. ومتى كانت آخر مرة استعمل فيها هذا الحق؟ بحق من كان؟

ـ بحق الملك لويس السادس عشر.

ـ هذا يدفعنا للتذكر أنه يحق لمن يملك حق الفيتو معارضة القرارات الصادرة عن المنظمة. هذا يعني أنه يكفي أن يعترض عضو واحد على القرار ليصبح لاغياً. سأوضّح لكم، ولكن أجيبوا على سؤالي هذا أولاً: هل المنظمة هي التي تدخلت بادئ الأمر في كوسوفو؟

ـ كلا، إنها l 'O.T.A.N.

ـ ولمَ لم تكن l' O.N.U. منظمة الأمم المتحدة؟

ـ لم يطلب منها أحد ذلك.

ـ لأنها لو طُلب منها ذلك لكانت ستواجه، ومنذ بداية انعقاد جلساتها، معارضة كل من الصين وروسيا.

أترون؟ إنه حديث الساعة. فمن المؤسف جداً ألا تملك منظمة الأمم المتحدة الطرق التي تؤهلها لتسوية النزاعات في العالم، وأن تقوم منظمات أخرى بديلة عنها، بحل الصراعات، علماً أن مكانتها أدنى من مكانة الأمم المتحدة. هذا الأمر موضوع نقاش سياسي في فرنسا حالياً. فبعضهم يقول: «يجب التقيّد بتنفيذ قرارات منظمة الأمم المتحدة». بينما يقول البعض الآخر: «نعم ولكن عندما تعجز هذه المنظمة، يجب إيجاد البديل». وهنا نواجه مشكلة شرعية التدخل. فبالدرجة الأولى، يفترض بدول العالم تسوية مشاكلها بنفسها ـ منطلقين بهذا من مبدأ الديمقراطية ـ ولا يجب أن يؤول مصير الدول إلى فئة قليلة من الناس، حتى لو كانت الدول الأقوى. ولا يجوز لها فرض وجهات نظرها...

تلك هي المشكلة الأولى للسياسة الدولية التي يتوجب على كل حكومة تسويتها: تحديد موقفها من منظمة الأمم المتحدة، سواء كانت خارج مضمارها أو ضمنه. لكن ما هي القضايا الدولية؟

ـ التجارة.

ـ بالتأكيد، وهذا أمر هام جداً. يجب على الدول كافة أن

تمارس التجارة. نحن الفرنسيون في المقدمة، لمَ علينا تبادل التجارة مع الدول الأخرى؟

ـ لشراء بعض المواد التي لا ننتجها.

ـ مثل ماذا بشكل خاص؟

ـ النفط

ـ هذا أفضل مثل. لأن عدم حيازتنا للبترول هي مشكلة بحد ذاتها. فعدم وجود البترول لدينا، يحرمنا من المحروقات أو الوقود.

ـ ألا نملك المحروقات؟

ـ بل ولا السيارات أيضاً. ولكن مقابل الحصول على هذه المادة الخام من الدول الأخرى، نجد أنفسنا مرغمين على بيعها منتجات وطنية هي بأمس الحاجة إليها. لذلك يجب تنظيم عملية التجارة، لتفادي هيمنة الدول الأقوى التي ينجم عنها الظلم. إذ لا يجب تمكين الدول العظمى من تسيير التجارة العالمية لمصلحتها حصراً. كأن تباع منتجاتها بأسعار باهظة، بينما تُصرف منتجات الدول الضعيفة مقابل كسرة خبز. وفي نفس الوقت، يجب منع بعض الدول من مزاولة الغش، وذلك بحظر دخول منتجات الدول الأجنبية إلى أراضيها، من أجل

معالجة هذا النوع من المشاكل، تمّ إنشاء ما سمي بمنظمة التجارة الدولية. وهي تواجه صعوبات في القيام بعملها. ولكن هذه القضايا الدولية لا تنحصر بتبادل المنتجات والتجارة أو البحث عن وسائل للعيش بسلام. إنها تعني أيضاً القيام بأعمال مشتركة. إنني على ثقة تامة أنكم تستطيعون منحي أمثلة عن أشياء حققناها بالاشتراك مع دول أخرى لم يكن بمقدورنا تحقيقها لولا تعاوننا معاً. ما هو المشروع الذي نفذناه مع الإنكليز؟

ـ إنه نفق المانش.

ـ هذا ليس كل شيء. وماذا هناك أيضاً؟ ما هي الطائرة التي صممناها مع الإنكليز؟

ـ إنها طائرة الكونكورد.

ـ إنها طائرة من إنتاج مشترك. وما هو آريان؟

ـ إنه صاروخ.

ـ تم تصميمه بالاشتراك مع من؟

ـ مع الروس.

ـ كلا بل مع دول أخرى من أوروبا الغربية، على وجه الخصوص ألمانيا واسبانيا وإيطاليا وغيرها. ولا يتوقف

الأمر هنا. هنالك مشاكل أخرى معاصرة يستحيل تسويتها بمفردنا، ولا يوجد لها حلول إلاّ على الصعيد الدولي. هل تتكهنون ما هي؟

ـ الهواء، البيئة والتلوّث.

ـ نعم تلك هي قضايا العصر. عندما نشهد انفجار محطة نووية في مدينة تشرنوبل، في أوكرانيا، وعندما تنتشر السحابة النووية في الجو، فإنها لن تتوقف عند الحدود، طالبة باحترام أذناً بالدخول. وكنتيجة لذلك، يجب معالجة هذه الأمور دولياً، ومثال آخر عن طبقة الأوزون.

فالمشاكل الدولية في أيامنا هذه أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الشؤون العامة. فلا يمكننا اليوم ممارسة السياسة دون الأخذ بعين الاعتبار حجم المشاكل الدولية. حيث أن الحواجز بين الشؤون الداخلية والشؤون الدولية آخذة بالتلاشي. لذا قررت بعض الدول إعادة تنظيم نفسها على الصعيد الإقليمي من أجل تنسيق جهودها من جهة، وللسيطرة على سياسة العالم من جهة أخرى. وهكذا تسير الأمور بالنسبة لأوروبا، التي سبق وتحدثنا عنها، والتي تحاول فرنسا المشاركة الفعالة في بنائها. فالمبدأ

بسيط جداً. تسمح فرنسا بإيفاد عناصر تمثّل سيادتها في شتى المجالات التي يمكن، حسب رأيها، أن تدعم مكانة المواطن. ولكن إذا بدت نجاحات أوروبا واضحة وغير قابلة للنقاش على الصعيد الاقتصادي، فهي بالمقابل معرّضة للجدال بسبب الطابع شبه الديمقراطي لسيرها. من هنا، وإذا استعملنا العبارة نفسها يبقى انهيارها موضع نقد. هنا أيضاً لدينا موضوع جدل يضع الأحزاب السياسية في موقف مواجهة. لا بد أن نتناول هذه الأحزاب بشكل موجز.